قصة
أصحاب الفيل



حسين حسنين



قصة

أصحاب الفيل

حسين حسنين

فهرس



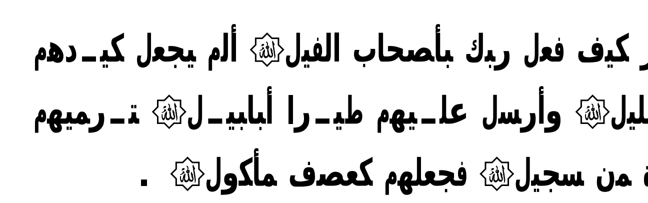
المقدمة

تعد قصة أصحاب الفيل أحد قصص القرآن الكريم والتي تم معالجتها بتـصرف مـن الناحيـة الدرامية مع الالتزام بالخط الديني العام للقصة والتركيز على الكليات الموجودة داخل القصة القرآنيـة والاهتمام بالجزئيات المرتبطة بالخط الديني. ولقد راعيت أن تكون أسماء الأشخاص والمدن والـبلاد وغيرها صحيحة كما وردت فى الآيات القرآنية أو السنة فى حال عدم وجودها بالقرآن الكريم. راعيت أيضا توخى الدقة فى ذكر تاريخ حوادث تلك القصة مستخدما فى ذلك البساطة والسهولة فى اللغة حتى يتسنى للقارئ فهمها وتعقب حواراتها دون ملل.

كان مرجعي أثناء كتابة تلك القصة هو القرآن الكريم والسنة وكتب التفـسير واخـص بالـذكر المؤرخ محمد ابن إسحاق، والمؤرخ عماد الدين أبو الفداء إسماعيل ابن عمـر ابـن كثيـر القرشـي الدمشقي المتوفى عام ٧٧٤ هجرية.

وفى النهاية أتمنى أن أكون قد وفقت فى هذا العمل الذى بين أيديكم الآن.

بسم ا الرحمن الرحيم


ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيلﷲ ألم يجعل كيـدهم
فى تضليلﷲ وأرسل علـيهم طيـرا أبابيـلﷲ تـرميهم
بحجارة من سجيلﷲ فجعلهم كعصف مأكولﷲ .

صدق ا العظيم.

(١)

كان الهدوء يسود بلاد حمير ونجران باليمن السعيد فى ذلك الزمن البعيد خلال فترة حكم الملك ربيعة بن نصر ...

واستمر الحال كذلك شهورا وسنين حتى رأى ملك البلاد فى إحدى ليالي الشتاء المطيرة حلما فظيعا أليما......

وأخذ الملك يبحث عن مفسر حكيم لرؤياه.... وعجز المفسرون دون استثناء.. وطالت الأيام دون العثور على المفسر الهمام رغم محاولات المئات...

وذات يوم جاء رجل قصير ورفيع الى قصر ملك البلاد ليخبره بأنه وجد المراد فى تفسير الرؤى والأحلام ، ويمكنه أن يأتى بهم من بلادهم.... وفرح الملك، وطلب من الرجل أن يأتيه بمفسري الأحلام.

*****

وبعد ثلاثة أيام طوال وصل الرجل القصير الرفيع الى قصر ملك الزمان وخلفه رجلان كاهنان هما(شق وسطيح). ودخل الكاهنان الى مخدع (ربيعة بن نصر) ملك البلاد الذى راح يقص عليهما رؤياه..

ونظر الرجلان الى بعضهما ثم الى ملك الزمان واخبراه بما تحمله رؤياه.. وانزعج (نصر بن ربيعة) من فظاعة تفسير رؤياه المريعة.

وبعد عدة أيام تحقق الحلم الفظيع ومات الملك الحكيم.. وشهدت بلاد اليمن السعيد شتى صنوف العذاب والهوان على يد ملكها الجديد (ذو نواس) الرجل الألعوبان الذى بدأ حكمه للبلاد بعدم الحفاظ على حياة العباد، وبمرور الأيام انتشر الفساد حتى عم أنحاء البلاد.... وثار الرجال ومعهم النساء من

قسوة المحسوبية والرشوة والفساد وازدياد الموبقات فى أرجاء البلاد .. وزحـف العـصيان المـدني ليجوب المدن والكفور والنجوع وكل شبر فى أنحاء البلاد.

ولما عجز(ذو نواس) عن لم شمل العباد كما كان عليه الحال عندما حكم البلاد.. طلب المـلك من رجاله الأشداء بحفر أخاديد عريضة وعميقة حول البلاد واشعل فيها النيران بعد أن احرق رجالـه الأشداء كل شئ داخل البلاد.

ولم ينج من الناس أجمعين سوى شيخ كبير قدير يدعى(دوس ذو ثعلبان) أنقذه ربـه مـن ذلـك الهلاك وييسر له الهرب من تلك البلاد قبل الممات. وخرج الرجل الى قلب الصحراء، وظل فيها يسير أياما وأسابيع وسط رمال وكثبان حتى أدرك بالسليقة بلاد الروم ..

*****


دوس ذو ثعلبان

وبمجرد دخوله بلاد الروم الحصينة خر مغشيا عليه فادركه الناس من حواليه، وبعد إفاقته وجد نفسه فى مضيفة كبيرة منيفة وحوله الماء والطعام وأنـاس كلهم أخيار. فأخذ يشرب الماء ويأكل ما لـذ وطـاب وهو يقص عليهم حكايته. وبناء على قصته وبعـد أن اخذ راحته أخذه جند القيصر الى قصر ملـك الـروم حتى يجد حلا لمشكلته..

وفى قصر عظيم الروم أعاد (دوس) حكايتـه حول (ذو نواس) الملك الألعوبان الذى احرق العباد واليابس منها والنبات. وبعد أن فرغ من قصته طلب الرجل من جلالته نصرته ومن تبقى مـن أهلـه وعشيرته.

****

انزعج قيصر الرومان وثار مما حدث ودار من ظلم فى حمير ونجران.. وعلى الفـور حـرر رسالة بخط يده الى (النجاشي) ملك الأحباش، وفى رسالته طلب منه أن يثأر لشعوب حمير ونجـران من (ذى نواس) الرهيب الذى أشعل النيران واللهيب فى كل الأطياف من الصغار والكبار....

واخذ (دوس) الرسالة من عظيم الروم بعد أن قبل يده على عطيته وحمل معه ما يكفيه من الماء والعتاد. واخذ الرجل الكبير يشق طريقه راكبا دابته وسط صحراء جرداء خالية من الماء والنبات الى ملك الحبشة حاملا معه رسالة قيصر الرومان.

****

لما وصل (دوس) الى بلاد الأحباش بعد طول عناء اخذ يسأل الناس عن كيفية الوصول الى ملك الأحباش.. فأخذه بعضهم الى قصر مليكهم المفتوحة أبوابه دائما لهم... وهناك أخذه الحراس بكل ترحاب الى مقر مليكهم.

قيصر عظيم الروم

****

وعندما مثل الرجل الكبير أمام ملك الأحباش اخرج من ثنايا جلبابه رسالة عظيم الرومان وأعطاها لجلالته الذى تناولها باهتمام بالغ واخذ يقرأ ما بها بكل تقدير واحترام.

وبمجرد الانتهاء من قراءة الرسالة انتصب (النجاشي) واقفا وطلب من أحد الذين يجلسون بجانبه أن يأتيه فورا بقائد جيوش الدفاع . وفى الحال حضر قائد الجيش الهمام فى منظر مهاب الى حضرة ملك الأحباش حيث دار بينهما نقاش بعده اخذ القائد فى الانصراف لينفذ أوامر ملك البلاد..... فى تلك الأثناء كان دوس ينظر حواليه وهو لا يكاد يصدق عينيه حول مدى الاهتمام والالتزام برسالة عظيم الرومان.

****

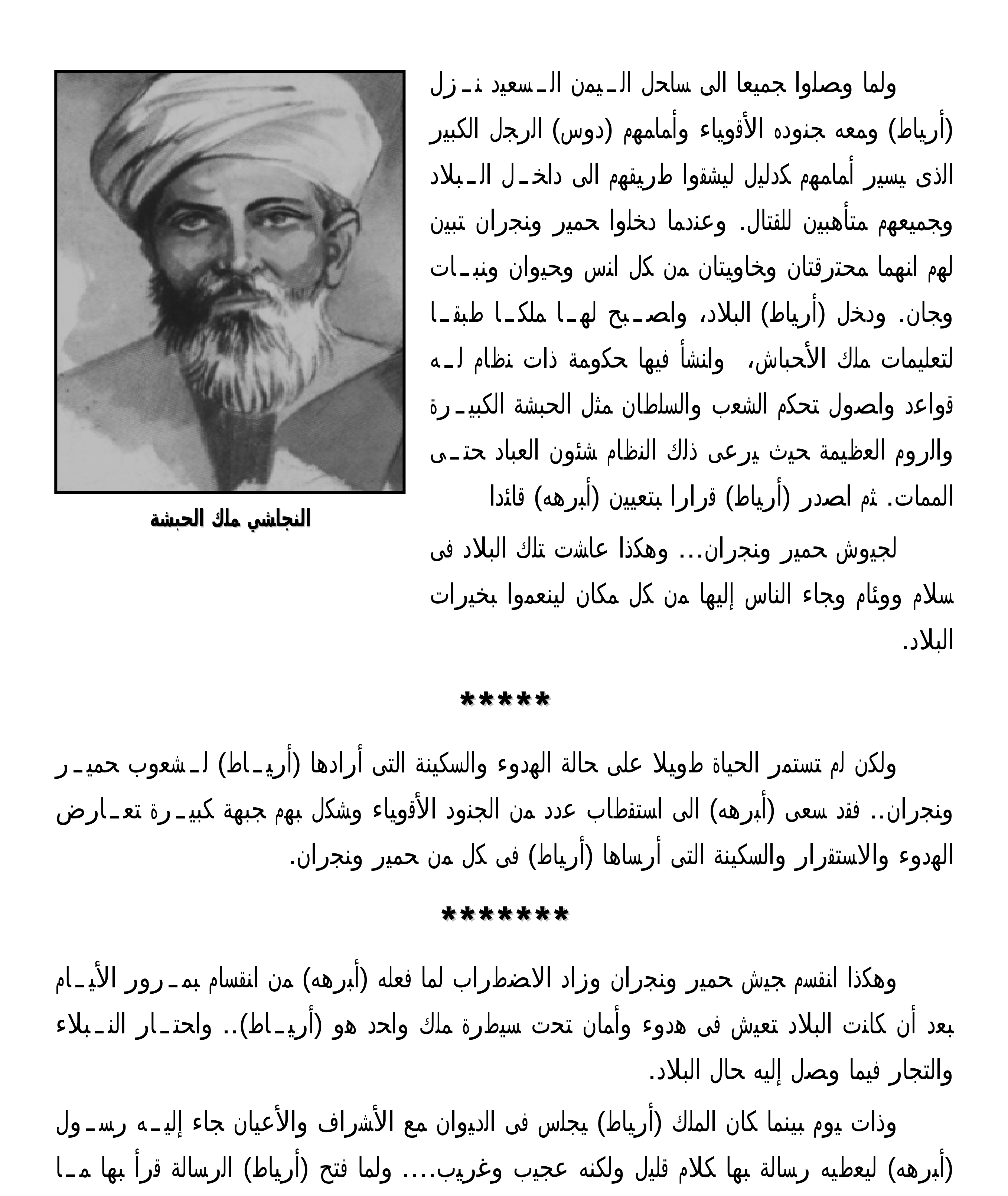
وبعد يومان جاء قائد الدفاع الهمام ليخبر (النجاشي) ملك البلاد أن كل شئ تمام.

وهكذا تم تجهيز جيش كبير رهيب من جنود الأحباش الأقوياء بلغ قوامه اكثر من سبعين ألف جندي برئاسة أحد قادة الأحباش العظماء ويدعى (أرياط) يسانده عدد من القادة الصغار منهم رجل يدعى (أبرهه).

وخرج ملك الأحباش ليودع جنوده العظماء وداعيا لهم بالتوفيق فى تنفيذ مهامهم الجديدة لنشر العدل والسكينة فى بلاد حمير ونجران. فى تلك الأثناء اخذ (دوس) الرجل الكبير يشق طريقه الى النجاشي حتى وصل إليه وركع على ركبتيه حتى كاد فمه يلمس رجليه تعبيرا عن الشكر والعرفان لملك الأحباش.

وركب (أرياط) وجنوده البحار ومعهم (دوس) الكبير تاركين خلفهم بلاد الحبشة، ومتجهين الـى حمير ونجران التى أضرمت فيها النيران.

****



النجاشي ملك الحبشة

ولما وصلوا جميعا الى ساحل الـيمن الـسعيد نـزل (أرياط) ومعه جنوده الأقوياء وأمامهم (دوس) الرجل الكبير الذى يسير أمامهم كدليل ليشقوا طريقهم الى داخـل الـبلاد وجميعهم متأهبين للقتال. وعندما دخلوا حمير ونجران تبين لهم انهما محترقتان وخاويتان من كل انس وحيوان ونبـات وجان. ودخل (أرياط) البلاد، واصـبح لهـا ملكـا طبقـا لتعليمات ملك الأحباش، وانشأ فيها حكومة ذات نظام لـه قواعد واصول تحكم الشعب والسلطان مثل الحبشة الكبيـرة والروم العظيمة حيث يرعى ذلك النظام شئون العباد حتـى الممات. ثم اصدر (أرياط) قرارا بتعيين (أبرهه) قائدا

لجيوش حمير ونجران... وهكذا عاشت تلك البلاد فى سلام ووئام وجاء الناس إليها من كل مكان لينعموا بخيرات البلاد.

*****

ولكن لم تستمر الحياة طويلا على حالة الهدوء والسكينة التى أرادها (أريـاط) لـشعوب حميـر ونجران.. فقد سعى (أبرهه) الى استقطاب عدد من الجنود الأقوياء وشكل بهم جبهة كبيـرة تعـارض الهدوء والاستقرار والسكينة التى أرساها (أرياط) فى كل من حمير ونجران.

****

وهكذا انقسم جيش حمير ونجران وزاد الاضطراب لما فعله (أبرهه) من انقسام بمـرور الأيـام بعد أن كانت البلاد تعيش فى هدوء وأمان تحت سيطرة ملك واحد هو (أريـاط).. واحتـار النـبلاء والتجار فيما وصل إليه حال البلاد.

وذات يوم بينما كان الملك (أرياط) يجلس فى الديوان مع الأشراف والأعيان جاء إليـه رسـول (أبرهه) ليعطيه رسالة بها كلام قليل ولكنه عجيب وغريب.... ولما فتح (أرياط) الرسالة قرأ بها مـا

هو آت : " لقد اتسع الشقاق بينى وبينك يا ملك أرياط.. لذا أرى أن نتبارز.. والمنتصر منا يصبح ملكا للبلاد ".

وحكى (أرياط) للأشراف والنبلاء ما تضمنته رسالة (أبرهه)

فتعجبوا جميعا من فعلته، ثم سألوا الملك (أرياط) عما ينوى فعله إزاء ذلـك الغـدار ؟. وهنـا أجابهم جلالته :

" سوف أنازله حتى يكون عبرة للآخرين من الخائنين والغدارين ".

******

كان (أبرهه) قصيرا ولحيما.... بينما (أرياط) فكان رجلا وسيما طويلا وعظيما وعلى درايـة بكافـة فنـون القتال....

ووسط حشد كبير من الناس تقابل الرجلان للمبارزة فى ليلة مقمرة فى إحدى الغابات المليئة بالأشجار الطوال حسبما أراد (أبرهة) الغدار.. وكان فى يد كل منهما حربة طويلة.. ولكن.. لم يتوقع (أرياط) أن غريمه (أبرهه) خان قواعد المبارزة حيث اخفى احد رجاله ويدعى (عتـودة) فوق واحدة من الأشجار الطوال حيث لم يره (أرياط) ولا القائمون على تنظيم النزال بالحراب....

أبرهه

ولما بدأ القتال بين الرجلان أسرع (أرياط) ببراعته وحنكته فى فنون القتال الى قذف حربته بدقة عالية ومهارة فائقة نحو رأس (أبرهه) الذى حاول تفاديها لكن دون جدوى فوجدت طريقها الى جبهتـه حيث شـرمت حاجبه وانفه وأيضا شـفته حتى اصبح اشـرما (ومن هنا سمى أبرهـه الأشـرم).... ووقع (أبرهه) على الأرض واعتقد جميع المراقبين والمشاهدين من حواليه انه فارق الحياة.. وعليـه صاح الرجال فى مكان النزال بالنصر للملك (أرياط).... ولكن فى تلك الأثناء حدث ما لم يحمد عقباه حيث أطل (عتودة) من فوق أحد الأشجار الطوال وقذف بسهم مسموم نحو (أرياط) فقتله فـى الحـال وسط دهشة النظار..

وقبل أن يفيق أولئك الرجال الذين هم فى ميدان النزال خرج جنود (أبرهه) من كل مكان واخذوا يقتلون منظمي النزال والحاضرين من الرجال..

ولما استرد (أبرهه) وعيه وأخذ يحاول النهوض.. هنا التف حوله أنصاره من الجنود الذين قاموا برفعه على الأعناق ونصبوه فى الحال ملكا للبلاد.

وهرب بعض رجال (أرياط) الى خارج البلاد ومعهم الكثير من النبلاء خوفـا مـن الاغتيـال، واتجه بعضهم الى ملك الأحباش ليخبروه بما حدث ودار فى ميدان النزال من (أبرهه) الغدار.

*****

ولما علم(النجاشي) باغتيال(أرياط) بتلك الطريقة الغير شريفة، غضب الملك وثار وقرر الانتقام ثم قال فى حضرة النبلاء والأشراف : " سوف انتقم من الخائن (أبرهه)، وسأضع رأسه تحـت قـدمي حتى يفصح لي عما دار ويقدم لنا الاعتذار عما فعله فى تلك الديار، وسأرى بعد ذلك ان كنت سـأغفر له فعلته.. ".

ولكن بعض النبلاء والأشراف قالوا لملك الأحباش : " إن (أبرهه) لن يوافق على مـا عرضـته يامولاى.. فرد عليهم (النجاشى) بنبرة غيظ مشوبة بالانتقام : وهذا ما أريده منه، لانه فى تلك الحالـة يكون قد عصى أمري.. ومن يعصى أوامري يكون قد خرج عن النظام، ومن يخرج عن النظام يستحقه النظام حيث يحل دمه هو وعشيرته، وهو ما أصبو إليه حتى أذيقه مرارة غدره وخيانته ".

******

ووصلت الأخبار الى حمير ونجران، وعلم (أبرهه الأشرم) بقسم ملك الأحباش، فأسرع بقـص شعر رأسه ثم وضعه فى جراب به تراب من ارض حمير ونجران وبعث بهما مع رسالة الـى ملـك الأحباش يقول فيها : [مولاي النجاشي.. ملك ملوك الأحباش وما يتبعهم من مـستعمرات فـى كـل مكان.. إذا كان أرياط عبدك.. فأنا أيضا عبدك وخادمك المطيع.. ولقد اختلفت أنا وأرياط على حكـم حمير ونجران وطال بيننا العراك.. ولما كنت أنا الأقوى والأفضل فى الحفاظ علـى قـوة وسـلطان عرشك يامولاى فى حمير ونجران..هنا رأيت انه لابد من نزال أرياط.. وقد كان يا مولاي.. وهآنـذا الآن باق يا مولاي ومحافظ على عهدك وسلطانك فى حمير ونجران وما تطلبه مـن أعمـال.. أمـا بخصوص قسمك يا مولاي.. فلقد حلقت شعر رأسي عن آخره حين بلغني قسمك.. وأبعث إليـك الآن بجراب به تراب من أراضى حمير ونجران وفيه شعر رأسي حتى تضعهما تحت قـدميك.... فيبـرأ بذلك قسمك فى....]. وارسل (أبرهه) وفد عالي المستوى يحمل الجراب الى ملك الأحباش.

****

ولما وصل الجراب وقرأ النجاشى الخطاب ورأى خصلات الشعر فى التراب... هنـا ضـحك (النجاشي) لذكاء (أبرهه).. وهز رأسه ونظر الى الأمام نظرة فكر واستبصار.

واخذ (النجاشي) يطيل النظر فى كتاب (أبرهه) وبعد فترة قال لمن فى حـضرته مـن النـبلاء والأشراف : " يالك من نصاب يا أبرهه الغدار ". ثم كتب (النجاشى) الى (أبرهه) وقال له فى كتابه : [عليك ان تثبت أقدامك بأرض حمير ونجران.. وان تبتعد عن الغدر والخيانة.. وان تكون على عهدي صائن وأمين.. وسوف احضر بنفسي الى حمير ونجران لأرى بعيني ما يدور هناك]. وهكذا حـصل وفد (أبرهه) على رسالة ملك الأحباش وشق طريقه الى حمير ونجران.

*****

حصل (أبرهه) على رسالة ملك الأحباش بمجرد وصول الوفد إليه، واخذ يقرأها ثم يعيد تلاوتها وهو لا يكاد يصدق عينيه. واخيرا صرخ وقال : " لقد رضى عنى ملك الزمان " ، ثم جمـع النـبلاء والأعيان فى حفل بهيج لم تشهده حمير ونجران منذ عهد بعيد، واستمر الحفل يومـان حـضره كـل الأشراف والأعيان، واخذ يردد (أبرهه) رضاء مليكه عنه وحبه له. وفى الحفل الرهيب قرر (أبرهـه) العجيب بناء كنيسة ضخمة وفخمة لتكون قبلة للحجيج واحد الأعاجيب ومقرها صنعاء كـى يفتتحهـا (النجاشى) ملك الأحباش خلال زيارته للبلاد حتى تكون فاتحة خير على العباد.

وجمع (أبرهه) العظماء فى فن البناء من شتى الأرجاء وعلى الفور شرع المعماريون والعمـال فى البناء من الصباح الى المساء لعدة أعوام حتى استكمل البناء.

*****

تميزت القليس باتساعها الباهر.. وارتفاعها الشاهق.. فقد بنيت الكنيسة الفخيمة علـى صـنمين كبيرين يبلغ طول كل منهما اكثر من ستين ذراعا، وفى داخلها تم تركيب الصلبان فى جميع الأركـان من الذهب والفضة والعقيق الكريم وأيضا الياقوت والمرجان إضافة الى الزمرد البهيج.. كما صـنعت منابرها من الأبنوس والعاج الخام، كما غطت حوائطها الداخلية والخارجية بالمرمر والرخام..ثم أمـر (أبرهه) جنوده بنقل الأحجار الكريمة والأمتعة الفخيمة من قصر ملكة ذلك الزمان (بلقيس) الى كنيسة القليس.

وحتى يضمن (أبرهه) خلود القليس حتى آخر الزمان طلب من كهنته العظام ان يستخدموا الجان فى حماية كنيسته من عبث الانسان.

*****

ولما تم الانتهاء من زخارف البناء ورأى (أبرهه) روعة وفخامة القليس بعث برسالة عاجلة الى ملك الاحباش يطلب منه السماح بان تطأ قدمه ارض صنعاء ليراه العباد وهو يفتتح درة ذلك الزمـان كنيسة القليس العظيمة والفخيمة كى تكون قبلة لحجيج العرب بدلا من كعبتهم العتيقة.

*****

وعلمت العرب ببناء القليس. وفطن سادتهم بما سوف يجنيه (أبرهه) بعد بنـاء تلـك الكنيـسة الحديثة.. وتبين لهم بعد اجتماعاتهم العديدة المديدة ومن خلال عيونهم بـ حمير ونجران أن (أبرهـه) الغدار سوف يطالب من (النجاشي) أثناء افتتاحه للكنيسة الحديثة بالسماح له فـى توسـيع مـستعمرات مملكة الأحباش لتشمل مكة والمدينة وغيرها من بلاد شبه الجزيرة والقضاء على كعبة العرب العتيقة وبناء قليس جديدة. ولما تأكد العرب من صحة أقوال عيونهم والأحاديث الطويلة فى اجتماعـاتهم، لـم يهدأ حالهم سواء فى منامهم أو نهارهم من خوفهم على ارض أجدادهم وقبلتهم العريقة العتيقة.

وعلت أصوات الفتيان فى كل مكان وتحمس العربان فى كافة البلدان وخرجـت قبيلـة النـسأة برجالها وشبابها وحتى أطفالها تقود ذلك التيار الجبار، وجاء قرارهم قبل غيرهم بأن خير وسيلة لهـم هى الهجوم على كنيسة القليس وليس الانتظار للدفاع عن كعبتهم العريقة.

وهكذا خرج شباب النسأة الأقوياء وكلهم حماس للقتال، وفى الطريق الى صنعاء أنـضم إلـيهم الشباب والكبار من قبائل العربان.. واتجه طوفان العربان كالهدير وهم ينادون بتدمير كل مـن يقـف أمامهم فى الطريق للخلاص من القليس الحديثة قبل أن يدمر (أبرهه) كعبتهم العتيقة.

*****

ولما وصل الطوفان من الشباب والرجال والنساء إلي صنعاء اتجهـوا مباشـرة إلـي القلـيس واقتحموا أبوابها كالإعصار دون معارضة من حراس المكان وسرقوا ونهبوا كل ما هو نفيس وكـريم بها، ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد فقاموا بتخريب بعض أجزائها، وتركوا القلـيس جرداء من كل ما هو جذاب.

ولما علم (أبرهة) بما حل بالكنيسة.. وسرقة الأشياء النفيسة، وما لحق بالقليس من ضرر.. طار من عينيه الشرر.. وصرخ في حراس الكنيسة وقال لهم : لماذا لم توقفوهم وتمنعـوهم مـن دخـول الكنيسة ؟

فرد عليه أحد الحراس وقال : كان عددهم كثير ورهيب، ونحن قليلـين ... وقـد اعتقـدنا أن بالكنيسة جان يحميها من عبث الانسان.. ولكن لم يتحرك حراس المكان من الجان.

فقاطعه (أبرهة) وهو يصرخ منددا بالانتقام للقليس من شعوب النسأة اللعينة دون استثناء، وكل من يدعمهم أو يساندهم من الجيران. وهاج وماج (أبرهه) واخذ يصرخ فى جنوده وهو يقـسم بـرب الأرباب بأنه سوف يسير إلي البيت العتيق بمكة وأن يقوم بهدمه انتقاما لنفسه.

وعلى الفور طلب (أبرهه) قائد جيوشه الذى حضر فى الحال، وأمره بتجهيـز جـيش قـوى لا يعرف سوى الانتصار. وقرر (أبرهه) أن يأخذ معه فيلاً قوياً عتيداً، وأتجه بكل هؤلاء فى طريقه إلـي مكة ومعه الفيل كي يدمر البيت العتيق وكل من يعترضه في الطريق........

وهكذا بدأ أبرهة قتاله ضد العرب.

*****

وانتشرت الأخبار حتى عمت كل الديار، وعلمت العرب بتحرك جيوش (أبرهة) صـوب مكـة المكرمة ومعه الفيل العتيد لهدم الكعبة العتيقة وكل من يقف فى طريقه.

ودب الخوف فى قلوب العرب وزاد من رعبهم استخدام (أبرهه) للفيل كسلاح للهدم والتـدمير.. وهنا قرر زعماء العرب اتخاذ كافة التدابير لمواجهة (أبرهه) والفيل.

ودقت طبول القتال، وقاد جيوش العرب رجل من أشراف وملوك أهل اليمن يـدعى (ذو نفـر) الذى قام بإعداد جيش كبير ولكنه ليس بالخبير لملاقاة جيوش أبرهة المخيفة.

*****

ودارت المعركة والتحم الجيشان فى القتال، ولكن جيش (أبرهه) الأكثر عددا وتنظيمـا وحنكـة بفنون القتال حسم المعركة لصالحه فى الحال. وهكذا خسر العرب، وفاز (أبرهه) بل واستطاع أسـر زعيمهم (ذو نفر)، ولما هم (أبرهة) بقتله قال له (ذو نفر) : لا تقتلني يا مولاي.. فعـسي أن يكـون لبقائي معك خيراً. فرد عليه (أبرهة) بعد تفكير عميق وقال له وهو متشكك: إذن لن أقتلك الآن، فربما أجد فيك منفعة.

فرد عليه (ذو نفر) : وسأكون مجيبا لك عن كل طلب.

*****



وبعد انتصار (أبرهة) علي (ذي نفر) أخذ جيشه ومضى قدما في قتاله ضد العرب. واتجه(أبرهه) والفيـل إلـي عمـق الصحراء وجنوده تهتف له وتقول : " نحن معك يا مولاي على الدرب سائرين.. ولأوامرك مطيعين ".

وبعد سفر فى الصحراء طويل وأليم للجيش والفيل توقف الجميع لالتقاط الأنفاس والراحة بعد عناء، ثم اتجـه (أبرهـة) ناحية أسيره (ذو نفر) وسأله : فى اى ارض ومكان نحن الآن؟

ذو نفر

فأجابه الرجل وهو يلتفت يمينا ويسارا : " نحن الآن فـي اتجاه أرض (خثعم) الواقعة هناك على مشارف الجبل التي بها قبيلتي (شهران وناهس). ثم سأله (أبرهة) ثانية : ومن هو قائد جيوش (خثعم). فأجابه الرجـل : أنـه (نفيل بن حبيب الخثعى)..ولكن يبدو أن جيوش القبائل العربية المجاورة قد انـضمت اليـه. فنظـر (أبرهة) مليا الى (ذى نفر) ثم الى مشارف الجبل واتجه بعد ذلك إلي قادة جيوشه بعيدا عن (ذو نفـر) وتحدث معهم قليلا، ثم اتجه الى جنوده وخطب فيهم خطبة طويلة لشحذ الهمم ثم نظر الـى مـشارف الجبل وصرخ وقال: " إلي القتال يا رجال ... إلي القتال يا رجال ". فرد عليه الجنود أجمعـين فـي صوت واحد مهيب : الى القتال.. الى القتال .. نحن وراءك يا مولاي. وتحرك جيش (أبرهه) صوب الجبل كالهدير ومعه الفيل كي يلاقى جيش النفيل.

*****

وتقابل الجيشان.. ولكن (أبرهة) بجيشه الرهيب هزم (النفيل) وأخذه أيضا أسير كما فعل من قبل مع (ذو نفر). وعندما

هم(أبرهه) بقتل (النفيل) قال له الأخير :" لا تقتلني يامولاى، وخذني دليلك بأرض العرب، فأنا بها عليم".

فضحك أبرهة وقال: ليس هناك ما يمنع من أن تكون دليلي ولكن حذار المخادعة.. فلدى مـن العيون الكثير.. وهآنذا أحذرك الآن كما فعلت من قبل مع (ذو نفر).

ورضخ (النفيل) بقلب كسير .

وواصل (أبرهة) زحفه ومعه جنوده والفيل فى طريقهم الى الكعبة العتيقة حتى بلغـوا مـشارف الطائف. وبينما يستعد (أبرهة) لتنفيذ خطته خرج (مسعود بن ثقيف) وخلفه رجالـه رافعـين رايـاتهم البيضاء مستسلمين، ثم طلب (مسعود) مقابلة (أبرهة). وعندما تقابل الاثنان قال له (مسعود) : " نحـن يا مولاي لك سامعين ومطيعين، ولا يوجد هناك خلاف حول ما تريد.. أما عن " اللات " فليس بهـا ما تريد.

وهنا سأله (أبرهه) مستفسرا عن تلك " اللات " ؟

فأجاب (مسعود) بخوف واختصار : اللات يا مولاي ... هى بيتنا الذي نتعبد فيه ونعظمـه ... بينما أنت يا ملك العباد تريد البيت العتيق الموجود بمكة والذي يحج إليه العرب أجمعين.

وهنا هز (أبرهة) رأسه علامة أنه أدرك الفارق بين الكعبة واللات، ثم قال لـ (مسعود) : نعم، إن ما أسعى إليه هو البيت العتيق.. فأنا إلي الكعبة قادم لهدمها مهما كانت المخاطر.

أبتسم (مسعود بن ثقيف) وقال له : لذاك يا مولاي سوف أبعث معك من رجالي ما يدلك علـي ذلك البيت الذي تبغيه.

فقال له (أبرهة) : ومن هو هذا الدليل ؟

فأشار (مسعود بن ثقيف) إلي أحد الرجال الواقفين خلفه وقال :

ها هو ذا يا مولاي، أنه (ابورغال)، عالم بكل شبر في الصحراء أو في أعالي الجبال... وإلـي الكعبة سيشد معك الرحال.

وتقدم (أبورغال) إلي الأمام حتى أصبح أمام (أبرهة) وانحنى له وقال : أمر مولاي مجاب فـى الصباح والمساء... مهما كانت الأسباب.

وهنا نظر (أبرهة) الى (مسعود بن ثقيف) وقال له : إن صنيعك هذا يجعلني أتجاوز عنكم لحسن تعاونكم.

*****

وانطلق (أبرهة) وجنوده والفيل وأمامهم (أبو رغال) الدليل إلـي قلـب الـصحراء الكئيبـة، واستمروا على ذلك الحال حتى وصلوا إلي قرية صغيرة تدعى المغمس لا تبعد كثيراً عن مكة. ولكن حدث ما لم يكن متوقعاً لـ (أبرهة)، فقد مرض (أبورغال) ونال منه المرض ولم يعد قادراً علي قيامه بدور الدليل، وعلي أثر ذلك توقف الركب الكبير عن المسير حتى يشفى العليل ويفيق. ولكن المـرض طال وراح (أبورغال) في سبات عميق لا يستطيع منه أن يفيق، وعندما حضر إليه الحراس ليوقظـوه من النعاس وجدوه قد فارق الحياة، وهكذا راح الدليل.

وحزن (أبرهه) المكير على فراق الرجل العليل، لذلك قرر (أبرهة) الحزين دفن (أبورغال) في أفضل بقعة بالمكان نظراً لطاعته وولائه التام. وقيل بعد ذلك أن قبر (أبورغال) الموجود بالمغمس ظل علي مر السنين يرجمه الناس أجمعين.

*****

وفى المغمس انشأ (أبرهه) معسكراً يدير فيه شئون جيشه الإدارية والعسكرية. ومن نفس المكان بعث (أبرهه) برسله حاملين معهم رسائله إلي كل مكان. وقد كان من بين هؤلاء الرسل رجلان همـا (الأسود بن مقصود الحبشي) و(حناطة الحميري).

وقد كتب (أبرهة) رسالة وأعطاها لـ (الأسود بن مقصود الحبشي) وطلب منه الذهاب إلي مكة وأمره بتحصيل الأموال من قبيلة تهامة وغيرها من القبائل المجاورة لها، ثم طلب منه (أبرهه) أثنـاء عودته أن يحضر معه من المؤن الكثير من خضراوات وماء وبعير لاطعام الجيش الكبير. وانصرف ابن مقصود وأخذ معه بعض العيون والجنود كى يؤمنوا طريقه في الذهاب والإياب.

فى نفس الوقت أمر (أبرهة) أحد المقربين منه ويدعى (حناطة الحميري) بالذهاب إلي مكة أيضا وقال له : " عندما تصل يا حناطة إلي مكة... عليك أن تستعلم عن سيد أهل تلك البلدة وشـريفهم... وعندما تجده ... أخبره أنني لم آت إليهم لقتالهم، وإنما جئت لهدم بيتهم الذي يتعبدون فيه مثلما فعلوا بكنيسة القليس.. فالعين بالعين.. والبادي اظلم ... فإذا وافق سيد أهل تلك البلدة علي هـدم كعبـتهم... فلن يكون هناك قتال، ولن نسفك دماءهم كما فعلنا مع غيرهم ". ثم أمره (أبرهة) بالانصراف.

وخرج حناطة ومعه بعض الجنود والعيون في طريقهم إلي مكة للبحث عن سيدها.

*****

وبعد وقت ليس بالطويل عاد (الأسود بن مقصود الحبشي) من قريش الى معسكر المغمس الكبير واتجه مباشرة الى مقر الملك (أبرهه) ومعه أموال الجباية كلها التى حصلها من شعوب تهامة والقبائل المجاورة لها... إضافة الى الطعام والماء والكثير من البعير التي أخذها من (عبد المطلب بن هاشـم) كبير قريش وسيد شعبها.

ولما علمت قبائل قريش وكنانة وهذيل ما حدث لشعب تهامة والآخرين المجـاورين علـى يـد رسول (أبرهة) ذاك (الأسود بن مقصود الحبشي) اللئيم ... هنا أدرك الجميع أن كرامتهم أصبحت فى الوحل والطين، ولاستعادتها قرر الجميع التصدي لذاك الملك اللعين والفيل وجنوده المحترفين. وهكـذا تعالت صيحات الانتقام والتنكيل بكل من يقف وراء (أبرهه) اللعين .

*****

إما (حناطة الحميري) رسول (أبرهه) الوحشىعندما دخل مكة أخذ يسأل ويستفـسر عـن سـيد قريش وشريفها... وبعد وقت قصير علم أنه (عبد المطلب بن هاشم) فسعى إليه (الحميري) حتى وصل إليه. ولما طلب مقابلته وجده يجالس أعيان قريش ويتحدثون حول ما وصلت اليه الأمور.

واخبر خادم (عبد المطلب) بأن هناك من يطلبه، فاستجاب له الرجل والتقى بـ (حناطة) الـذى اخبره الأخير بما يريد منه (أبرهه) ... فقال له (عبد المطلب) : " وا ما نريـد الحـرب معكـم ... ومالنا بذلك من طاقة ". وهنا رد عليه (حناطة) بكل بساطة : " هذا عين العقل يا (عبد المطلب) ".

ولكن الأخير طلب من (حناطه) أن يقابل ملكه(أبرهة) كي يرد له حاجته التي أخذها " الأسود بن مقصود " وهي المؤن والبعير. ووافق (حناطة) وأخذ معه (عبد المطلب) وبعض وجهاء قريش وكـان من بينهم (يعمر بن نفاثة سيد بني بكر) و(خويلد بن وائله سيد هزيل). وذهبوا جميعـا إلـي معـسكر المغمس لمقابلة(أبرهة) كى يتفاوضون معه حتى يكف عن القتال وان يسعى الجميـع لاقامـة العـدل والاحسان.

*****



ووصل (حناطة) ومن معه من وجهاء قريش إلي معسكر (أبرهة). وهنا طلب (عبد المطلب) من (حناطة الحميرى) أن يقابل (ذو نفر)، فلبى الرجل مطلبه.

وعندما تقابل (ذو نفر وعبد المطلب) سأله الأخير : " هل أجد عندك مخرجا مما نحن فيه يا (ذا نفر) "؟. فأجابه الرجل وهو يبتسم : " كيف يكون لرجل حبيس وأسير مثلي أن يجد لك مخرجـا ... وعلي كل ... فأن ما أستطيع تقديمه إليك هو " أنيس " سائس الفيل ... فهو على حد علمـى أقـرب الاقربين إلي الملك (أبرهة) ".

وبالفعل بعث (ذو نفر) إلي (أنيس) سائس الفيل... ولما حضر الاخير جلس معه وقـال لـه (ذو نفر) : " يا أنيس.... هذا عبد المطلب... أنه صديق قديم... وسيد أهل قريش ومن أعيانها وعزيزهـا، وهو الآن فى ضيق شديد ".

فقال له (أنيس) :" وما الذي أستطيع أن أفعله له يا ذا نفر)؟ "

فأجابه الرجل : " له طلب عند الملك أبرهة ... ويرجو أن تستأذن له عنده ؟ "

فقال له أنيس : " سوف أفعل ما أستطيع لانك انسان عزيز ".

*****

كان (عبد المطلب) رجلا وسيما وعظيما ويتميز بحسن هندامه وجمال طلعته. ولما أدخله (أنيس) سائس الفيل ومـن معه إلي مجلس (أبرهه) الفخيم. نظر إليه الأخير بكل إجـلال وتقدير فأكرمه وكبره ولم يجلسه تحت كرسيه كما يفعل مـع غيره، ولكن كره في نفس الوقت أن تراه الرعية يجلسه معه.. لذاك نزل الملك عن سريره وجلس علي بساطه وأجلسه معـه إلي جانبه... بينما ظل جميع وجهاء قريش واقفـين ومـنهم (يعمر بن نفاثة سيد بنى بكر) و(خويلد بن وائله سيد هذيل).

ونادى (أبرهة) ترجمانه كى يتابع حديثـه مـع (عبـد المطلب) الذى سأله : ما هى حاجتك يا (عبد المطلب) ؟

أنيس سائس الفيل

فأجابه الرجل : " حاجتي يا مولاي.. أن ترد إلي المؤن والبعير الكثير التـى أخـذها رسـولك (الأسود بن مقصود الحبشى)…. وهنا تعجب (أبرهة) من طلب (عبد المطلب) وقال له بتعجب شديد : " وا … لقد أعجبتني حين رأيتك.. ثم زهدت فيك حين كلمتني في حاجتك ". ثم نظر إليه (أبرهـه) نظرة طويلة بعدها نهض واقفا وجلس علي سرير ملكه وقال له: " أتكلمني يا رجل في المؤن والبعيـر وتترك ما هو هام وخطير … كنت أتوقع منك أن تحدثني عن كعبتكم العتيقة ودينك وديـن آبائـك …وأنت تعلم أنني قد جئت لأهدمها ثم لا تحدثني فى ذلك وتكلمني في البعير ".

فرد عليه (عبد المطلب) : " سيدي دعني أقول لك أنني رب الإبل… وما البيت فله رب يحميه".

وهنا صرخ (أبرهة) فى حراسه وأمرهم برد المؤن والإبل إلي (عبد المطلب)… ثم تركه واتجه بحديثه إلي (يعمر بن نفاثة سيد بني بكر) و(خويلد بن وائله سيد هذيل) وطال بين ثلاثتهم المفاوضـات حول إنقاذ الكعبة العتيقة… وبعد فترة من الشد والجذب فى الحديث قال (يعمر) لـ(أبرهة) : " نحـن نعرض علي جلالتكم ثلث أموال تهامة كضريبة علي أن تتراجع عن هدم البيت العتيق".

ولكن (أبرهه) ظل متشددا ومصمما على الانتقام ثم قال لهما : " لا … بـل ألـف لا … لقـد حطمتم حلمي الكبير الذى ظللت اعمل له طول تلك السنين حتى يجئ ملك الأحباش كى احـصل منـه

على كل الصفح والسماح، ولكن بعد تدمير القليس اصبح كل شئ لي غير متاح ... لقد قضى أولئـك الإرهابيين على حلمي الكبير."

واخذ (أبرهه) يصرخ فى وجه الجميع بأعلى صوته ويقول : " جئت لأهدم البيت العتيق.. كما فعلتم انتم بالقليس العجيب... لقد قضيتم على حلمى والآن ليس هناك من يـستطيع منعـي.. فـالعين بالعين....انه ثأري.. انه ثأري ".

وهكذا انصرف الجميع... وتركوا (أبرهة) في غضب شديد.

*****

وبعد عودة وجهاء قريش الى بلادتهم اجتمع الأشراف والأعيان وتحدث فيهم (يعمر وخويلد) عما حدث ودار من إصرار (أبرهه) الجبار على هدم الكعبة العتيقة نتيجة ما فعله صغار العربان من نهب وهدم ودمار للقليس الحديثة... وبعد مشاورات عديدة قرر الجميع التصدي لـ(أبرهه) وجنوده والفيـل بكل ما يملكونه من مؤن وذخائر وسلاح والجمع الغفير.. وتركزت خطتهم فى خروج الناس أجمعـين من مكة والتحرز بأعالي الجبل والدعاء بإنقاذ البيت العتيق من (أبرهه) وجنوده والفيل..

وبعد فترة من الوقت ليست بالقليلة أو الطويلة ظهر (أبرهه) وجنوده والفيل علي مشارف بلـدة البيت العتيق ومعهم أسلحتهم وعتادهم لهدم الكعبة العريقة.. وساد صمت القبور كل ما يحـيط بالبيـت العتيق، وخيم الذعر والهلع فى أعالي الجبل علي آل قريش من كافة الأعمار حتى الصغار.. وشـعر الجميع أنه لا محالة من الهلاك إلا إذا تدخلت العناية الإلهية ضد كل خطر أو ردية .. ولكـن حـدث شيء عجيب.. إذ رأى آل قريش المختبئين فى أعالي الجبال أحد الرجال يتقدم خلسة من الجميع نحـو الفيل حتى وصل إليه ثم همس فى أذنيه ببضع كلمات قليلة انصرف بعدها بعيدا ثم اخذ يـشق طريقـه بعد أن قام بفعلته الى أعالي الجبل خلسة من جنود (أبرهه) الرهيبة.. وبمجرد وصول الرجـل نحـو الجبل عرفه آل قريش المختبئين بأنه (النفيل بن حبيب) ذلك الرجل الأسير.. وما هى إلا لحظـات أو تكاد حتى بدأ القتال، وهنا برك الفيل كما تبرك البعير.. وكلما حاول جنود (أبرهه) توجيه الفيل الكبير نحو الكعبة العتيقة يبرك ثانية كما تبرك البعير.. وتكرر الامر كثيرا واخذ وقتا طويلا، وأخيرا نهض الفيل وجرى سريعا ناحية الشام وبعيداً عن البيت العتيق، لكن الجنود منعوه واوقفوه وضـربوه حتـى سال دمه وبرك الفيل من هول الضرب الأليم ... ومع ذلك أبى الفيل وتحمل كـل أنـواع الـضرب والتعذيب.

وبعد بضع لحظات من ضرب الفيل حدث شئ عجيب.. فقد سمع الجميع صوت غريب قادم من بعيد باتجاه البحر الغريق.. وأخذت الأصوات تقترب بالتدريج حتى أصبحت كالهدير... وتجمد الدم فى عروق الجميع عندما شاهدوا أجمعين طيورا كثيرة وكبيرة بأعداد رهيبـة تغطـى الـسماء وشـكلها عجيبة.. مخيفة ومريعة ويحمل كل طائر منها من الحصى ثلاثة بأحجار كبيرة واحدة في فمه واثنتـين في رجليه.

كانت تلك هى طيور الخطاطيف ذات الشكل المخيف التي لا ترحم ولا تلين وتهاجم كل فاسـق ولعين.... وأخذت الخطاطيف تلقى بأحجارها الكبيرة علي (أبرهة) وجنوده أجمعين دون تمييز، وبدأت

تتصاعد بين الجنود صيحات الرعب والخوف والأمل والأنين.. وهم يهربـون وبعـضهم يتـساقطون والكثير منهم يموتون و(أبرهه) ينظر حواليه ولا يكاد يصدق عينيه ولا أذنيه...أما الجنود الهاربون فقد كانوا يتساءلون عن (النفيل بن حبيب) كي يدلهم علي طريق العودة لـ ديارهم البعيـدة وسـط البيـداء الرهيبة. ولكن (النفيل) قد غادر الوغى وصعد إلي الجبل ينظر مع الناظرين الى ساحة القتال المرير بين الجنود وطير الخطاطيف.

وبعد المعركة قيل أن طيور الخطاطيف كان لها خراطيم وأكف كالضباع والكلاب ولها رؤوس كالسباع... وقد خرجت من البحر العميق بترتيب وتنظيم ... وكان لونها أخضراً ... وتصدر صـوتاً مخيفاً مريعا... وتصحب معها أثناء طيرانها رياحا كالإعصار تهز الأرض وتصرخ فى السماء وتزيد من سرعة سقوط الحجارة كالسهام المميتة....

وفى معركة الخطاطيف أصيب (أبرهه) إصابة أليمة وظل جسده ينزف حتى أخذه جنـوده وبـه فروا إلي صنعاء....وهناك فارق الحياة غير مأسوف عليه. ونزلت الآية الكريمة بعد ذلك تقول:

بسم ا الرحمن الرحيم

ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل﴿﴾ ألم يجعل كيـدهم فى تضليل﴿﴾ وأرسل علـيهم طيـرا أبابيـل﴿﴾ تـرميهم بحجارة من سجيل﴿﴾ فجعلهم كعصف مأكول﴿﴾ .

سورة الفيل

صدق ا العظيم.

صدر للمؤلف

- الانشطار : التطور التاريخي للانشطار النووي.
- لماذا تفوقت إسرائيل على العرب نوويا ؟
- البرنامج النووي الإيراني:
  - الكتاب الأول : هل ستصبح إيران دولة نووية تخشاها الدول المجاورة لها؟(١)
  - الكتاب الثاني: رعب داخل دول الخليج وإسرائيل من بناء القنبلة النووية الشيعية.(٢)
  - الكتاب الثالث: بداية التعاون الخليجي العلني مع دول الغرب وإسرائيل لوقف بناء القنبلة الشيعية.(٣)
  - الكتاب الرابع:المراحل التمهيدية للمواجهة الكارثية بين الغرب ودول الخليج من جهة وإيران من جهة أخرى. (٤)
- ظاهرة الاحتكار في الأسواق المصرية (دراسة نقدية).
- تجاوب مصري ضعيف رغم الضغوط الأمريكية والأوربية لتحرير سياسة سعر الصرف خلال الفترة من ٢٠٠٠ الى عام ٢٠٠٥ (دراسة نقدية).
- أزمة الإعلام التعاوني فى العالم العربي. (دراسة نقدية).
- قضايا ديموجرافية فى كل من مصر وإسرائيل. (دراسة نقدية)باللغة الإنجليزية.
- سلسلة قضايا عربية استراتيجية مثيرة للجدل: مايو ٢٠٠٥، يوليو و ٢٠٠٥، أغسطس٢٠٠٥
- التاريخ القديم لشمال أفريقيا (ليبيا،تونس،الجزائر،المغرب).
  - الكتاب الأول: بداية من السكان الأصليين ثم الفينيقيين وإمبراطورية كرتاج. (باللغة الإنجليزية)
  - الكتاب الثاني:النفوذ الإغريقي والروماني والبيزنطي. (باللغة إنجليزية)
- قضايا سورية بالغة التعقيد:
  - الكتاب الأول: محاسبة سوريا.
- كيف تواجه النرويج تفاقم المشكلة الإسلامية على أراضيها.
- الصراع البريطاني الأرجنتيني حول جزر الفولكلاند.
  - الكتاب الأول: بداية الأزمة (باللغة الإنجليزية).



- الكتاب الثاني:الاحتلال الارجنتينى للفولكلاند.
- الكتاب الثالث:بريطانيا تستعيد جزر الفولكلاند بالقوة العسكرية.

- موسوعة: رجال لهم تاريخ في المنطقة العربية وإسرائيل. حرف (أ).
- موسوعة الجيب لمخرجي السينما المصرية: حرف (أ). حرف (ب الـى ج). حـرف (ح).
- المحاكمة : تأريخ المسرح المصري عبر عصره الحديث (مسرح تسجيلي)
- سيطرة ومال ودماء : قصة وسيناريو وحوار.
- بطل المدينة: قصة وسيناريو وحوار.
- مسرح الطفل: لا للشر.. نعم للحب.
- القتلة ومصيف جمصة الهادئ (رواية).
- القاموس الإسلامي : (أ).
- قصة أصحاب الفيل.
- قصة أصحاب الأخدود.